تفسير ابن كثير

يقول تعالى مقررا تفرده بالخلق والرزق وانفراده بالإلهية أيضا فكما كانوا يعترفون بأنهم لا يرزقهم من السماء والأرض أي بما ينزل من المطر وينبت من الزرع إلا ا فكذلك فليعلموا أنه لا إله غيره وقوله تعالى : { وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين } هذا من باب اللف والنشر أي واحد من الفريقين مبطل والاخر محق لا سبيل إلى أن تكونوا أنتم ونحن على الهدى أو على الضلال بل واحد منا مصيب ونحن قد أقمنا البرهان على التوحيد فدل على بطلان ما أنتم عليه من الشرك با تعالى ولهذا قال : { وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين } قال قتادة : قد قال ذلك أصحاب محمد صلى ا عليه وسلّم للمشركين وا ما نحن وإياهم على أمر واحد إن أحد الفريقين لمهتد وقال عكرمة وزياد بن أبي مريم : معناها إنا نحن لعلى هدى وإنكم لفي ضلال مبين .

وقوله تعالى : { قل لا تسألون عما أجرمنا ولا نسأل عما تعملون } معناه التبري منهم أي لستم منا ولا نحن منكم بل ندعوكم إلى ا تعالى وإلى توحيده وإفراد العبادة له فإن أجبتم فأنتم منا ونحن منكم وإن كذبتم فنحن برآء منكم وأنتم برآء منا كما قال تعالى : { وإن كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون } وقال D : { قل يا أيها الكافرون * لا أعبد ما تعبدون * ولا أنتم عابدون ما أعبد * ولا أنا عابد ما عبدتم * ولا أنتم عابدون ما أعبد * لكم دينكم ولي دين } .

وقوله تعالى : { قل يجمع بيننا ربنا } أي يوم القيامة يجمع بين الخلائق في صعيد واحد ثم يفتح بيننا بالحق أي يحكم بيننا بالعدل فيجزي كل عامل بعمله إن خيرا فخير وإن شرا فشر وستعلمون يومئذ لمن العزة والنصر والسعادة الأبدية كما قال تعالى : { ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون * فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة يحبرون * وأما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة فأولئك في العذاب محضرون } ولهذا قال D : { وهو الفتاح العليم } أي الحاكم العادل العالم بحقائق الأمور .

وقوله تبارك وتعالى : { قل أروني الذين ألحقتم به شركاء } أي أروني هذه الالهة التي جعلتموها أندادا وصيرتموها له عدلا { كلا } أي ليس له نظير ولا نديد ولا شريك ولا عديل ولهذا قال تعالى : { بل هو ا } أي الواحد الأحد الذي لا شريك له { العزيز الحكيم } أي ذو العزة الذي قد قهر بها كل شيء وغلبت كل شيء الحكيم في أفعاله وأقواله وشرعه وقدره تبارك وتعالى وتقدس عما يقولون علوا كبيرا وا أعلم